﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: 35]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

تقريرُ رأيِها بعدَ تفنيد آرائِهم

في مناسبةِ الآيةِ لِما قبلَها وجهانِ؛ **أحدُهما:** لمّا بيَّنَتْ بِلْقيسُ ما في المُصادَمةِ مِنَ الخطرِ؛ أتبعَتْهُ ما عزمَتْ عليهِ مِنَ المُسالَمةِ، فقالَتْ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ الآيةَ[1]، **والثّاني:** قولُها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ الآيةَ تقريرٌ لرأيِها بعدَما زيَّفَتْ آراءَهم[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُرْسِلَةٌ﴾ ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: (رسل) أصلٌ يدلُّ على الانبعاثِ والامتدادِ[3]، يقالُ: ناقةٌ رَسلةٌ، أي: سَهْلَةُ السَّيْرِ، وإبلٌ مراسيلُ: مُنبعِثةٌ انبعاثًا سَهْلًا، ومنهُ: الرَّسولُ المُنبعِثُ، وتُصوِّرَ منهُ تارةً الرِّفقُ، فقيلَ: على رِسْلِكَ؛ إذا أمرتَهُ بالرِّفقِ، وتارةً الانبعاثُ، فاشتُقَّ منهُ الرَّسولُ، والرَّسولُ يقالُ تارةً للقولِ المُتحمَّلِ، وتارةً لمتحمِّلِ القولِ والرِّسالةِ، والإرسالُ يقالُ في الإنسانِ، وفي الأشياءِ المحبوبةِ والمكروهةِ، وقد يكونُ ذلكَ بالتَّسخيرِ، كإرسالِ الرّيحِ والمطرِ[4].

2) ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾: (هدي) أَصلان أحدهما التَّقدُّم لِلإرشاد... والأصلُ الآخرُ: بعثةٌ بلطفٍ، ومنه الهديَّةُ، يُقالُ: أَهْدَيْتُ أُهْدي إهْداءً، والمِهْدَى: الطَّبَقُ تُهْدَى عَلَيْهِ، ومِنَ البابِ الهَدِيُّ: العَروسُ، وقَدْ هُديَتْ إلَى بَعْلِها هِداءً[5]، والهديَّة ما يتقرَّب بِهِ المهدي إلَى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 160.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 284، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 386.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رسل).
(4) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رسل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والعسكري، الفروق اللغوية، ص: 167.

المهدى إليهِ[1]، والمقصود بالآية: ما يُبعَثُ على جهةِ الإكرامِ، ويُتقرَّب بِهِ المُهدي إلَى المُهدى إليهِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إرسالُ الهديَّةِ إلى سليمانَ وانتظارُ ما يُسفِرُ عنهُ إرسالُ الرُّسُلِ

عدلَتْ بِلْقيسُ إلى المُهادَنةِ والمُسالَمةِ والمُصانَعةِ، فقالَتْ: سأبعثُ إلى سليمانَ وجنودِهِ بهديَّةٍ تليقُ بهم، وأنظرُ جوابَهُ بعدَ ذلكَ، فلعلَّهُ يقبلُ ذلكَ، ويكفُّ عنّا، أو يَضرِبُ علينا مالًا نحملُهُ إليهِ في كلِّ عامٍ أو نحو ذلك، ويتركُ قتالَنا ومحاربتَنا[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ الإتيانِ بالجملةِ الاسميَّةِ المؤكَّدةِ:

بِلْقيسُ عازمةٌ على ما رأت في المصلحة

أتَت بِلقيسُ في قولِها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ بالجملةِ الاسميَّةِ الدّالَّةِ على الثَّباتِ، المُصدَّرةِ بحرفِ التَّحقيقِ (إنَّ)؛ للإيذانِ بأنَّها مُزمِعةٌ على رأيِها، لا يَلْويها عنهُ صارفٌ، ولا يَثْنيها عاطفٌ[3].

فائدةُ العطفِ في جملةِ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ﴾:

إتباعُ خطرِ المخاشنةِ العزمَ على المسالمةِ

الظّاهرُ أنَّ جملةَ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ معطوفةٌ على ما قبلَها مِنَ الجملِ الدّاخلةِ في حيِّزِ مَقولِ بِلْقيسَ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ﴾ الآيةَ، ونكتةُ هذا العطفِ: أنَّها لمّا بيَّنَتْ ما في المُصادَمةِ مِنَ الخطرِ أتبعَتْهُ ما عزمَتْ عليهِ مِنَ المُسالَمةِ، فقالَتْ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ الآيةَ[4].

علَّةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ في ﴿مُرْسِلَةٌ﴾:

إرسالُ الهديَّةِ أمرٌ مُزمَعٌ عليهِ

عُبِّرَ باسمِ الفاعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾؛ للدَّلالةِ على الثُّبوتِ والاستقرارِ، وأنَّ اتِّصافَها بالإرسالِ أمرٌ مُحقَّقٌ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 167.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 190.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 284.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 160.

ثابتٌ، وفي ذلكَ إيماءٌ إلى شدَّةِ حرصِها على المسالمةِ والمهادنةِ وما فيه مصلحة لها ولقومها.

بلاغةُ الإيجازِ في جملة: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ إيجازٌ بالحذفِ؛ إذ التَّقديرُ: (وإنّي مُرسِلةٌ رُسُلًا بهديَّةٍ أدفعُهُ بها عن مُلْكي)[1]، حُذِفَ مفعولُ ﴿مُرْسِلَةٌ﴾؛ لظُهورِه، ولضيقِ المقام عن تفصيلِ الكلام[2]، أو لدلالةِ وصفِ ﴿مُرْسِلَةٌ﴾ عليه، وكونِ التَّشاورِ فيما تضمَّنَهُ كتابُ سليمانَ عليه السلام، فالتَّقديرُ: (وإنّي مُرسِلةٌ إليهم كتابًا ووَفْدًا مصحوبًا بهديَّةٍ)؛ إذ لا بدَّ أنْ يكونَ الوفدُ مصحوبًا بكتابٍ تجيبُ به كتابَ سليمانَ عليه السلام، فإنَّ الجوابَ عنِ الكتابِ عادةٌ قديمةٌ، وهو مِنْ سُنَنِ المسلمينَ، وعُدَّ مِنْ حقِّ المُسلِمِ على المُسلِمِ[3].

العادةُ جاريةٌ بإرسالِ كتابٍ ورُسُلٍ في الجوابِ

نكتةُ التَّعبيرِ بالجمعِ في ﴿إِلَيْهِم﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ معناهُ: إلى سليمانَ ومَنْ معَهُ[4]، وقد عُبِّرَ بالجمعِ في ﴿إِلَيْهِم﴾؛ إشارةً إلى عظيمِ ما تُرسِلُ به بِلْقيسُ[5]؛ إذ سيكون هدايا متنوِّعةً تصل إلى سليمان وجميع جنوده.

عِظَمُ هديَّةِ بِلْقيسَ لسليمان ومن معه

علَّةُ تقديمِ ﴿إِلَيْهِم﴾:

قُدِّمَ ﴿إِلَيْهِم﴾ على ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ في قولِه جلَّ شأنُهُ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾؛ للاهتمامِ بالمُقدَّم، وهو كونُ الإرسالِ إليهم، والتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ، وهو الهديَّةُ العظيمةُ الشَّأنِ.

سليمان وجنوده محلُّ العنايةِ والاهتمامِ

معنى الباءِ في ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾:

باءُ ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ في قولِه سبحانَهُ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ باءُ

الوفدُ المُرسَلُ إلى سليمانَ عليه السلام مصحوبٌ بهديَّةٍ

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 365، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 160.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 386.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 266.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 236.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 160.

المُصاحَبةِ، والتَّقديرُ: (وإنّي مُرسِلةٌ إليهم كتابًا ووَفْدًا مصحوبًا بهديَّةٍ)[1].

غرضُ تنكيرِ ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾:

عِـظَـمُ الـهـديَّةِ يـنـاسـبُ مـقـامَ المُهْدَى إليهِ

الهديَّةُ: ما يُبعَثُ على جهةِ الإكرامِ، وهي اسمٌ للمُهدَى[2]، وتنكيرُها في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ للتَّعظيمِ، أي: وإنّي مُرسِلةٌ إليهم رُسُلًا بهديَّةٍ عظيمةٍ[3]، تقعُ منهُم مَوْقِعًا[4].

علَّةُ عدمِ استشارةِ بِلْقيسَ قومَها في إرسالِ الهديَّةِ:

تـفـويـضُ المـلأِ الـرَّأيَ إليـهـا، واكـتـفـاؤُهـا بسُكوتِهم

دبَّرَتْ بِلْقيسُ في قولِها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ أنْ تتفادَى الحربَ بطريقةِ المُصانَعةِ والتَّزلُّفِ إلى سليمانَ عليه السلام، بإرسالِ هديَّةٍ إليهِ، وقد عزمَتْ على ذلكَ، ولم تَسْتطلِعْ رأيَ أهلِ مَشورتِها؛ لأنَّهم فوَّضوا الرَّأيَ إليها، ولأنَّ سُكوتَهم على ما تُخبِرُهم بهِ يُعَدُّ موافقةً[5].

دلالةُ العطفِ بالفاءِ في ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾:

بـعـدَ الإرسـالِ انتظارُ الجوابِ

﴿فَنَاظِرَةٌ﴾ في قولِهِ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ معطوفٌ على ﴿مُرْسِلَةٌ﴾[6]، وقد عُطِفَ بالفاءِ؛ لأنَّ الإرسالَ سببٌ للانتظارِ[7]، والانتظارُ مُترتِّبٌ عليهِ على الإثرِ ترتُّبَ النَّتيجةِ على السَّببِ، وفي ذلكَ تصويرٌ لحالةِ ترقُّبِ بِلْقيسَ الَّتي تسبقُ رجوعَ الرُّسُلِ مِنْ عندِ سليمانَ عليه السلام.

سرُّ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ في ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾:

تلهُّف بلقيس في انتظارها الخبر

معنى قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: مُنتظِرةٌ مُترقِّبةٌ الأمرَ الَّذي يرجعُ بهِ المُرسَلونَ مِنْ عندِ سليمانَ، إسلامٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 266.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 266.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 284.
(4) السمين، الدر المصون: 8/ 611.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 266.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 236.
(7) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 386.

وأمانٌ أم حربٌ ودمارٌ؟[1] وعُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ؛ للدَّلالةِ على أنَّ الانتظارَ منها أمرٌ مُحقَّقٌ ثابتٌ دائمٌ، لا ينفكُّ عنها حتَّى يرجعَ رُسُلُها بجوابِ سليمانَ عليه السلام.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَرْجِعُ﴾:

رجـوعُ المُرسَلينَ أمرٌ مستقبليٌّ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؛ لأنَّ رجوعَ المُرسَلينَ أمرٌ مستقبليٌّ بالنِّسبةِ لإرسالِ الهديَّةِ والانتظارِ، وصيغةُ المضارعِ تدلُّ على الاستقبالِ.

وجهُ تعريفِ ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

رُسُـلُ بِلْقيسَ هم المقصودونَ

تعريفُ ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؛ للعهدِ؛ لأنَّ المرادَ بالرُّسُلِ رُسُلٌ معهودونَ، وهم الرُّسُلُ الَّذينَ ستُرسِلُهم بِلْقيسُ إلى سليمانَ عليه السلام.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البَعْثُ والإرسالُ:

مقـامُ الاستعطافِ يلائمُهُ الإرسالُ

الاستعمالُ القرآنيُّ لكلمتَي البَعْثِ والإرسالِ يشتركُ في مَلْمَحٍ دلاليٍّ عامٍّ، وهو التَّوجيهُ، وقد فُرِّقَ بينَهما مِنْ وجوهٍ:

منها: أنَّ الإرسالَ لا يكونُ إلّا برسالةٍ وما يَجْري مَجْراها، وأمّا البعثُ؛ فيجوزُ دونَ ذلكَ[2].

ويُعترَضُ عليهِ بإرسالِ السَّحابِ المذكورِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الفرقان: 48]؛ فإنَّهُ لا إرسالَ فيهِ، إلّا أنْ يُحمَلَ الكلامُ على الغالبِ.

ومنها: أنَّ البعثَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ التَّنبيهِ والإيقاظِ والإثارةِ، والإرسالَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ الرِّفْقِ والرَّحمةِ، إلّا في المواضعِ التي جاءَ مركَّبًا فيها معَ حرفِ الاستعلاءِ (على)، نحوُ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ [الفيل: 3][3].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5453.
(2) معجم الفروق اللغوية، ص: 103.
(3) محمد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 136 - 137.

ولمّا كانَ قصدُ بِلْقيسَ استعطافَ سليمانَ ﷺ واسترضاءَهُ ومسالمتَهُ؛ أوثِرَ لفظُ الإرسالِ؛ لِما يتضمَّنُه مِنَ الرِّفْقِ والرَّحمةِ.

الهديَّةُ والهِبَةُ:

الهديَّةُ ما يتقرَّبُ بهِ المُهدي إلى المُهدَى إليه، والهِبَةُ ليستْ كذلكَ[1]، والهديَّةُ أيضًا يُقصَدُ بها الإكرامُ والتَّودُّدُ ونحوُهما، أمّا الهِبَةُ؛ فيُقصَدُ بها غالبًا النَّفعُ[2]، واختيرتِ الهديَّةُ في الآيةِ؛ لأنَّ قصْدَ بِلْقيسَ تعظيمُ سليمانَ ﷺ والتَّودُّدُ إليه.

الهـديَّـةُ أنسبُ بمقامِ التَّعظيمِ والتَّودُّدِ

الرُّجوعُ والعَوْدُ:

العَوْدُ: الرُّجوعُ إلى الشَّيءِ بعدَ الانصرافِ عنهُ: إمّا انصرافًا بالذّاتِ، أو بالقولِ والعزيمةِ، قالَ جلَّ شأنُهُ: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: 107][3]، والرُّجوعُ: العَوْدُ إلى ما كانَ منهُ البَدْءُ، أو تقديرُ البَدْءِ مكانًا كانَ أو فعلًا[4].

رجـوعُ رُسُـلِ بِلْقيسَ إلى ما كـانَ منـهُ بَـدْءُ انصرافِهم

والرُّجوعُ فعلُ الشَّيءِ ثانيةً، ومصيرُهُ إلى حالٍ كانَ عليها، والعَوْدُ يُستعمَلُ في هذا المعنى على الحقيقةِ، ويُستعمَلُ في الابتداءِ مجازًا، يقالُ: (قد عادَ إليَّ مِنْ فلانٍ مكروهٌ)، وإنْ لم يكنْ قد سبقَهُ مكروهٌ قبلَ ذلكَ، وتأويلُهُ: أنَّهُ لَحِقَني منهُ مكروهٌ[5]، فيكونُ العَوْدُ أعمَّ مِنَ الرُّجوعِ، واختيرَ لفظُ الرُّجوعِ في الآيةِ؛ لأنَّ بِلْقيسَ مُنتظِرةٌ رجوعَ رُسُلِها إلى ما كانَ منهُ بَدْءُ انصرافِهم.

(1) العسكري، الفروق، ص: 555.
(2) النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، ص: 240، والبُهُوتي، شرح منتهى الإرادات: 2/ 429.
(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: (عود).
(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: (رجع).
(5) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 250، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 157.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»